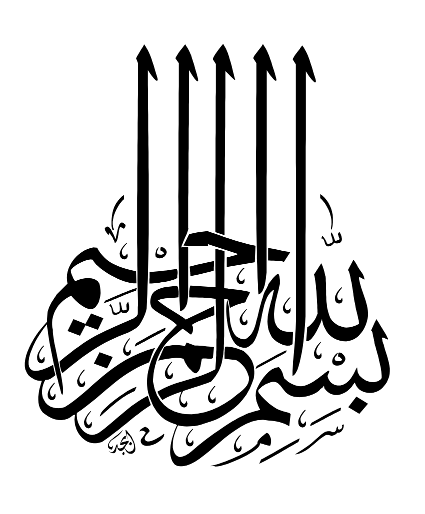
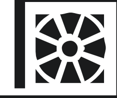

بسم الله الرحمن الرحيم






شرح مقدمة

عقائد أهل السنة

للشيخ العلامة إمام المدينة المنورة

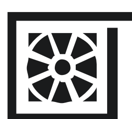
محمد حياة السندي المدني

(ت ١١٦٣ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)



اعتنى به

نزار حمَّادي






بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ رب العالَمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد؛ فإن أعلَى ما تسمو إليه أعناقُ الهِمَم، وأجلَّ ما يتنافس فيه أخيارُ الأمم: تحليةُ النفس بالعلوم النافعة تصوُّراً وتصديقًا، والعملُ بمقتضاها لبلوغ رتبة الكمال الإنساني تحقيقًا.

وإنّ من أتمها فائدةً، وأشرفها مرتبةً: علومُ الشريعة التي هي وسيلةُ السعداء إلى نيل رضوان الملِك الأعلى، ودخول جنة الخلد ومُلْكٍ لا يَبلى.

وإنّ من أشرفها موضوعًا، وأنفعها أصولاً وفروعًا، وأقومها مَحجَّةً، وأوضحها حُجَّة: علم العقيدة الإسلامية، وما يوصِل إليه من البراهين القطعية.

ولهذا لم يزل علماء الإسلام يحرصون على التأليف في ذلك العلم الجليل لبيان سُبلِ التحقق والتيقن من صحة هذا الدين الإسلامي عند كل المكلَّفين، وإقامة الحجة على جميع المخالِفين، فأرجَعُوا الأدلة النظرية إلى أصولها الضرورية، واستخرجوا أوجه الدلالات على المباحث العقدية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقصدهم بذلك حفظ عقائد العوام من الانحراف المؤدي إلى فساد الأحوال والأعمال، وصيانة الأمة الإسلامية من

فتنة الافتراق في الدين وما ينجر عنها من الضعف والهوان، فجزاهم الله خير الجزاء.

وإذا تصفحنا بعجالة تاريخ علم العقائد والمراحل التي مرّ بها وجدنا محطات أساسية شكّلت ملامِحه وبيَّنت معالِمَه، ومن أهمها ظهور إمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٧هـ) رحمه الله تعالى، ففي أوائل القرن الرابع للهجرة وبعد فِتَن ومِحَن توالت على أئمة المسلمين بتغلُّبِ المعتزلة ومحاولتهم فرضَ منهجهم العقدي المتعسِّف على النصوص الشرعية والمجانب للأدلة العقلية، لمع نجمُ الشيخ الأشعري ـ بما صنفه في الردِّ عليهم وتقرير الحق بأدلته ـ مؤذناً بتأسيس منهج عقدي جديد لأهل السنة والجماعة، يحافظ على الثوابت من العقائد، وينصر الحق الذي كان عليه الأئمة السابقون، ويشيد معالِم الطريق الذي سيسلكه اللاحقون.

وفعلا قد نال هذا المنهج الذي أسسه الإمام الأشعري رضا جمهور أهل العلم من المسلمين، وسار على دربه أئمةٌ لا يشق لهم غبار في الذكاء والورع والصلاح ومتانة الدين، تنوعت اختصاصاتهم بين فقيه ومحدِّث وأصوليّ ولغوي ومقرئ ومفسِّر وأديب وغير ذلك، لكنهم اتفقوا جميعاً على قواعد أساسية في علم التوحيد، فشكل ذلك مصدراً أساسيا من مصادر قوة المسلمين، لا سيما إذا شاركهم قادتهم في تلك الأصول كما حصل في عصر السلطان الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبي(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من صالح قادة المسلمين.

---

(١) قال الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١) في كتابه الوسائل إلى معرفة الأوائل: لما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية، فواظب المؤذنون على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا. اهـ

ولقد استمر اتفاق جمهور أئمة المسلمين المعتبَرين على اعتماد المنهج الأشعري[1] في العقيدة جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، من أقصى غرب بلادهم إلى مشرقها، وبين أيدينا الآن هذه الرسالة المصنَّفة في القرن الثاني عشر للهجرة تؤكد ذلك، وهي للشيخ العلامة محمد حياة السِّندي الأصل الذي صنفها في المدينة النبوية المشرفة يشرح فيها متناً لعالِـمٍ أصلُه من بلاد ما وراء النهرين كما يظهر من اسمه[2]، كان بدوره قد اختصر فيها العقيدة المعروفة بـ«أم البراهين» للإمام الشريف محمد بن يوسف السنوسي الحسني التلمساني، وهذه عينة تصور بجلاء اتفاق هؤلاء العلماء على نفس القواعد الاعتقادية على الرغم من تباعد أقطارهم الجغرافية.

صاحب هذا الشرح هو أحد العلماء الأخيار الأبرار، فهو الشيخ العلامة المحدِّث الفهامة، حاملُ لواء السُّنة بمدينة سَيِّدِ الإنس والجنة: محمد حياة بن إبراهيم السِّندي[3].

(١) وتجدر الإشارة إلى أن المنهج الماتريدي هو شقيق المنهج الأشعري وشريكه في إدراك في الحق، فكلاهما يتفق على الأصول العقدية الكبرى، وأكثر الخلافات بينهما لفظية لا أثر لها عند التحقيق كما بين ذلك جمع من العلماء، ولكن شيوع الأشعرية أكثر بين المذاهب الفقهية لجمعها للمالكية والشافعية وفضلاء الحنابلة، وانفراد الماتريدية بالأحناف.

(٢) واسمه كما ذكر العلامة محمد حياة السندي في طالعة الشرح «خوجه ميرزا»، لم أقف على ترجمته للأسف، ولكن كلمة «خوجه» تأتي بمعنى السيد والشريف والمعلم، وكلمة «ميرزا» مختصرة من «أمير زاد«، ومعناها: »ابن الأمير». وهذه الألفاظ تشير إلى أن صاحب العقيدة المشروحة من آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن سكنوا في بلاد ما وراء النهرين، والله أعلم.

(٣) للتوسع في ترجمته ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل بن علي=

قال في شأنه تلميذُه العلامةُ أبو الحسن السندي الصغير: «هو عمدة الأعلام المحدِّثين، وبقية النقاد والمسندين، عالِـم المدينة في عصره، الممتاز بالذبِّ عن الخبر ونَصْرِه، حميد الذات وفريد الصفات، نعمة الله المهداة»(١).

وأثنى عليه القنوجي قائلا: «كان من العلماء الربانيين، وعظماء المحدِّثين، قَرَن العلمَ بالعمل، وزان الحسن بالحلل، شدّ حزامه على درس الحديث النبوي، وأفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي، وكان يعظ الناس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد»(٢).

ووصفه المرادي قائلا: «كان ورعاً متجرداً منعزلا عن الخَلْق إلا في وقت قراءة الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي»(٣).

«عاش عيشة مرضية، ولقي الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة (١١٦٣هـ) ودفن بالبقيع»(٤).

أخذ العلوم عن الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق النحرير

= المرادي (ج ٤/ ص٣٤٦، طبعة دار ابن حزم؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للحسني (ص٨١٥) فهرس الفهارس للكتاني (ج١/ ص ٣٥٧).

(١) نقله محقق كتاب «الجُنة في عقيدة أهل السنة» (ص ١٨) ونقل كثيرا من ثناء العلماء على الشيخ محمد حياة فليراجع.

(٢) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (ج٣/ص١٦٩).

(٣) قاله في سلك الدرر (ج٤/ص٣٤).

(٤) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (ج٣/ص١٦٩).

الفهامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي[١] الأصل والمولد، الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة (١١٣٨ هـ) وهو صاحب الحواشي الست على الكتب الست والحاشية على مسند الإمام أحمد وغيرها[٢].

وأخذ علم الحديث خاصة وأمهات كتب السنة رواية ودراية عن الشيخ الحافظ عبد الله بن سالم المكي بأسانيده المتصلة إلى أصحابها، وأجازه في جميعها، وقد ذكرها العلامة محمد حياة السندي في رسالة على النحو التالي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الكبير للترمذي، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجة، ومسند الدارمي، وسنن الدارقطني، ومسند الإمام أبي حنيفة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الطيالسي، ومعجم الصغير للطبراني، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وسنن البيهقي ودلائل النبوة له أيضا، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والأربعين النووية، والمصابيح للبغوي، والجامع الكبير والصغير للجلال السيوطي، والحديث المسلسل.[٣]

ترك الشيخ محمد حياة السندي جملة من الكتب والرسائل النافعة، ذكر بعضها صاحب «سلك الدرر» كشرح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشرح الأربعين النووية، وشرح الحكم الحدادية التي صنفها الشيخ عبد الله بن علوي حداد، وهي قيد التحقيق، وشرح الحكم العطائية وقد حققته ونشر بفضل الله تعالى.

(١) انظر ترجمته في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل بن علي المرادي (ج ٤/ ص٦٦) دار ابن حزم ط٣ - ١٤٠٨هـ

(٢) انظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (ص٨١٥)

(٣) والرسالة تقع ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس رقم ٨٤٨٤

وله في بيان عقيدة أهل السنة هذه الرسالة التي نقدم لها، وقد عثرت منها على نسخة واحدة أصلها من المكتبة الوطنية بالجزائر، ضمن مجموع رقم ٥٣٢، تقع بين الورقة ١٣٢ والورقة ١٤٠.

وله أيضا كتاب «الجُنَّة في عقيدة أهل السنة»، حققها د. عبد القيوم السندي، نشرتها مكتبة الأسدي سنة ٢٠٠٤م. وله رسائل متعددة لطيفة وتحقيقات عجيبة منيفة، وقد ذكر أكثرها محقق كتاب الجُنَّة (ص ٢٢، ٢٣).

❋ من وصاياه النفيسة ومواعظه البليغة

تقدمت الإشارة إلى أن العلامة محمد حياة السندي كان من أئمة المسجد النبوي في المدينة المنورة، وقد كان يعقد فيه مجالس التعليم، ويظهر من مؤلفاته قربه من عوام المسلمين ومحاولته تذليل العلوم الصعبة لإفهامهم، وأيضا فقد كان واعظاً شديد العناية بصلاح حال المؤمنين، ومن مواعظه الجامعة لكل فضيلة قوله:

«يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَوَّلًا مَا يُصَحِّحُ بِهِ اعْتِقَادَهُ، ثُمَّ يَتَعَلَّمُ مَا يَقْدِرُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ، وَاجْتِنَابِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الأَفْعَالِ، ثُمَّ يَجْتَهِدَ فِي إِتْيَانِ الـمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الـمَنْهِيَّاتِ، خَالِصاً لِوَجْهِ رَبِّ المَخْلُوقَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي التَّوبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ مِنْ جَمِيعِ الخَطِيئَاتِ، وَيَرَى نَفْسَهُ أَحْقَرَ الـمَوْجُودَاتِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَوْلَاهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الحَالَاتِ، وَيَذْكُرَ الـمَوْتَ وَمَا يُلَاقِي عِنْدَهُ مِنَ السَّكَرَاتِ، وَالقَبْرَ وَمَا فِيهِ مِنَ الصُّعُوبَاتِ، وَلْيَتَزَوَّدْ لَهُ أَحْسَنَ الحَسَنَاتِ، وَيَذْكَرَ النُّشُورَ مِنَ القُبُورِ وَمَا يُلَاقِي بَعْدَهُ مِنَ الأَهْوَالِ الـمُنْكَرَاتِ، وَلَا يَنْسَى الحِسَابَ وَإِعْطَاءَ الكِتَابِ، وَرُجْحَانَ الحَسَنَاتِ

وَالسَّيِّئَاتِ، وَلَا يَغْفَلَ عَنِ النَّارِ الَّتِي فِيهَا أَشَدُّ العُقُوبَاتِ، وَلْيَتَّخِذْ جُنَّةً مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ تَقِيهِ حَرَّهَا وَشَرَّهَا بِفَضْلِ خَالِقِ الـمَصْنُوعَاتِ، وَلْيَتَشَوَّقْ إِلَى الجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ، فَفِيهَا فَلْيَتَنَافَسِ الـمُتَنَافِسُونَ، وَلِـمِثْلِهَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ، وَإِلَيْهَا فَلْيَشْتَاقِ الـمُشْتَاقُونَ. اللهُمَّ نَجِّنَا مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَدْخِلْنَا جَنَّتَكَ بِرَحْمَتِكَ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَشْرَفِ خَلْقِكَ. كتبه محمد حياة السندي المدني عفى الله عنه تعالى(١)

أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي:

عثرت ـ بفضل الله تعالى ـ على أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي بعد الرسالة التي تضمنت أسانيده في كتب الحديث النبوي، وتوجد تلك الرسالة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس، برقم (٨٤٨٤)، ومكتوب الشيخ السندي هو إجازة لأحد تلاميذه ممن حضر عنده قراءة قطعة من صحيح البخاري، كتبها سنة وفاته رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا لائقا بعلو جلاله وعلو كماله في جماله وأفضاله
وأفضل الصلوات وأزكى التسليمات على سيدنا محمد وصحبه وآله
أما بعد فقد حضر عندي في قراءة البخاري من أوله إلى أواسط
كتاب الجنائز فأجزته من كلها وبما في هذه الأوراق أسانيدها
وبغيره بالشرط المعلوم عند أهل العلوم هداه مولاه لما
يوجب رضاه ووفقه لما أراده وأرجو منه أن لا ينساني من
دعواته كتبه محمد حياة السندي المدني في المدينة المنورة سنة [illegible]

(١) (ورقة ١١٦/أ) ضمن مخطوط رقم ٨٤٨٤ بدار الكتب الوطنية تونس.

معالم في عقيدة أهل السنة

من خلال كلام الشيخ محمد حياة السندي

من المهم جدّاً إبراز بعض قواعد عقائد أهل السنة التي بينها العلامة السندي، لا سيما في عصرنا حيث يراد لبعض الحقائق المتعلقة بها أن تُقلَب، فحريٌّ بنا أن نبينها بما كان عليه الأئمة الهداة الذين أجمع معاصروهم على فضلهم وصلاح عقيدتهم، خصوصاً هذا العالِم الذي كان نبراساً للهدى في مدينة خير الورى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى مسألتين قرَّرهما العلامة محمد حياة السندي في مصنفاته العقدية على منهج أهل السُّنة، وبيّن ما يجب على المسلم اعتقادُه فيهما:

۞ المسألة الأولى: رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ.

يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ رؤية الله تعالى في الآخرة جائزةٌ عقلًا واقعة سمعاً، فهو تعالى يُرَاه المؤمنون في الآخرة مع أنه ليس متحيزاً ولَا في جِهَةٍ ولا جالِساً في مكانٍ؛ وهذا بناء على ما دل عليه العقل النظري والنقل القطعي واتفق عليه أئمة أهل السنة من أنه سبحانه مُنزَّهٌ عن أخذِ قدرٍ من الفراغ

وعن الكون محدوداً كما هو الحال في سائر الأجسام التي وإن اختلفت أحجامها وكيفياتها تبقى مشتركةً في الافتقار إلى الحيّز والمخصِّص لها بالقَدْرِ المعين والحدّ المخصوص دون غيرِه مما تقبَلُه لذاتها.

ولذا يقول الإمام الجليل الحافظ محمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١) في كتابه «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى»: لو كان الباري تعالى مقدَّراً بقَدْرٍ، مُصوَّراً بصورَةٍ، متناهياً بحدٍّ ونهاية، مختصّاً بجهة، متغيِّراً بصفة حادثة في ذاته لكان مُحدَثاً مُختَصّاً، واختصاصُه بما اختص به من مقدار وشكل يستدعي مخصِّصاً، ولو استدعى مخصِّصاً لكان مفتقراً حادِثاً، وإذا بطل هذا صحّ أنه تعالى بلا حَدٍّ ولا نهايةٍ، وأنه سبحانه قائم بنفسه على معنى أنه مُستغنٍ عن مكانٍ يُقِلُّهُ أو جسم يَحلُّه أو شيء يُمسِكُه أو غيرٍ يستعينُ به، ولا تتغيَّرُ أوصافُه في نفسه بفِعْلِه وتَرْكِه[1].

وتنزيهُ الله تعالى عن الجسمية ولوازمها أمرٌ متفقٌ عليه حتى عند أئمة وحفاظ الحديث بنصوصٍ صريحة لا تقبل التأويل، كما قال الحافظ الإمام أبو عمر بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) في «التمهيد» في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]: ليس مجيئه حركةً ولا زوالًا ولا انتقالًا ؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فلما ثبتَ أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئُه حركةً ولا نقلةً»[2]، وقال الإمام

(١) الأسنى ج٢/ص٢١، وراجع أيضا ج٢/ص١٤٣، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا.

(٢) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ، (ج٧/ص ٢٣٤) نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

الفقيه القاضي محمد بن رشد الجد رحمه الله في «المقدمات»: ولا يجوز عليه تعالى ما يجوز على الجواهر والأجسام من الحركة والسكون والزوال والانتقال والتغير والمنافع والمضار، ولا تحويه الأمكنة ولا تحيط به الأزمنة[1]. وقال الإمام القاضي عبد الوهاب البغدادي في شرح عقيدة الرسالة: «التنقُّلُ والتحوُّلُ وإشغالُ الحيِّزِ والافتقار إلى الأماكن يَؤول إلى التجسيم، وإلى قِدَم الأجسام، وهذا كفرٌ عند كافة أهل الإسلام[2]. ومراده ما أشار إليه الإمام القرطبي وهو أن لازم القول بالجسمية ولوازمها في حق الله تعالى إثباتُ حدوثه تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، ولا شك أن القول بحدوث الله تعالى كفر باتفاق، ولكن ثمة خلاف في أن لازم القول هل يعتبر قولًا أو لا؟ والأكثر على عدم اعتباره قولًا، خصوصاً عند المتأخرين.

والحاصل أن هذا المعتقَد المتعلق بإثبات رؤية الله تعالى مع تنزُّهه عن الجسمية ولوازمها قرَّرهُ أئمة أهل السنة سلفاً وخَلَفاً، نكتفي هنا بإيراد بعض نصوصهم في ذلك، منها قول الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي بكر الإسماعيلي (ت٣٧١هـ) في كتابه الجليل «**اعتقاد أهل السنة**»: «ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عَزَّ وَجَلَّ في القيامة دون الدنيا، ووجوبَها لمن جعل ذلك ثواباً له في الآخرة، كما قال: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وقال في الكفار: ﴿**كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: ١٥] فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه كانوا بأجمعهم عنه محجوبين. **وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا**

(١) المقدمات الممهدات، (ج١/ص٢٣).

(٢) شرح عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ص١٧).

التَّحْدِيدِ لَهُ، وَلَكِنْ يَرَوْنَهُ جَلَّ وَعَزَّ بِأَعْيُنِهِمْ عَلَى مَا يَشَاءُ، بِلَا كَيْفٍ»[١].

وقال الإمام ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]: حَمَلَ هذه الآية جميعُ أهل السُّنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى، **وَهِيَ رُؤْيَةٌ دُونَ مُحَاذَاةٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ**، كما هو تعالى معلومٌ موجود لا يُشبِهِ الموجودات، كذلك هو مرئي لا يشبه المرئيات في شيء؛ فإنه ليس كمثله شيء، لا إله إلا هو[٢].

والمخالِفين لأهل السنة في هذا المعتقد طائفتان إجمالا:

* **الأولى**: المعتزلة ومن تبعهم من الشيعة بجميع فِرَقهم، فهؤلاء ينفون رؤية الله أصلًا لتخيُّلِهم ارتباطَها بالتجسيم[٣]، فلمَّا نفوا التجسيم نفوا جواز

---

(١) اعتقاد أهل السنة، (ص٤٣) تحقيق جمال عزون. نشر دار ابن حزم ١٩٩٩م

(٢) المحرر الوجيز (ج٨/ص٤٧٨) الطبعة القطرية

(٣) وهذا في الحقيقة قصور كبير منهم مع ادعائهم التعقل، فإنهم لما رأوا أن المخلوقات التي أدركوها بحواسهم لا ترى إلا لكونها أجساماً أو في جهة، تخيلوا أنهم إذا أثبتوا رؤية الله سيلزمهم إثبات جسميته، فجمدت عقولهم مع المحسوسات وحكم العادات، وارتكبوا قياساً باطلا، وغفلوا عن كونه تعالى مخالفاً لخَلْقِه بالكلية، فرؤيته تعالى تخالِفُ رؤيتَهم، فالمخلوقات تُرى في جهة لكونها محدودة ومتحيزة، وهو تعالى يُرَى لا في جهة لكونه ليس متحيزاً، والرؤية إدراك يخلقه الله تعالى قائما بالعبد، هذه حقيقتها، وكونها لا تتعلق إلا بالمتحيز أو بالذي في جهة هو مجرد شرط عاديٌّ، وليس شرطاً عقليا مطرداً في جميع الموجودات، بل لا ينطبق إلا على المخلوقات المتماثلات، والله تعالى موجود أزلي ليس كمثله شيء، فهو مخالف لخَلْقِه بالكلية، فلا يمكن قياس رؤيته على رؤية المخلوقات، وكما خلق للمؤمنين في الدنيا إدراكا يعلمون به وجودَه تعالى مع أنه ليس بجسم ولا متحيز، كذلك يخلق للمؤمنين في الجنة إدراكاً يرونه به مع أنه ليس بجسم ولا متحيز، وهذا ما نبه عليه أهل السنة فيما سأنقل عنهم.

رؤية الله تعالى فضلا عن وقوعها. وسيأتي ردّ أهل السنة عليهم على لسان الشيخ محمد حياة السندي وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

* **والثانية**: المجسِّمة[1] بجميع فِرَقهم، فهؤلاء وإن أثبتوا جواز رؤية الله تعالى ولكن بنوا ذلك الإثبات على اعتقادهم أنّ الله تعالى جِسْمٌ وأنه في جِهَةٍ، وكل ما كان كذلك فرؤيته جائزَةٌ لا محالة، وهم يعتقدون أن ما ليس بجسم وليس في جهة فهو معدوم.

ومن أنصار هذا المعتقَد الشيخ ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)؛ إذ يقول: «نَفْيُ الجِهَة يستلزِمُ القولَ بعدم البارئ»[2]، ويقول أيضا: «إذا ثبتت رؤيتُه فمعلوم في بدائه العقول أنّ المرئيَّ القائم بنفسه لا يكون إلا بجِهَةٍ من الرائي[3]. ويقول: «معلوم أن كون البارئ ليس جسماً ليس هو مما تعرفه الفطرة بالبديهة» إلى أن يقول: «الموجود القائم بنفسه لا يكون إلا جسماً، وما لا يكون جسماً لا يكون إلا معدوماً، ومن المعلوم أن هذا أقرب إلى الفطرة والعقول»[4].

---

(١) إنما كانوا مجسمة لأنهم يعتقدون أن الله تعالى متحيِّزٌ بمعنى أن ذاته تعمِّرُ قدراً من الفراغ، ومهما عَظُمَ ذلك القدر فهو محدود، ولذا يعتقدون أن ذات الله تعالى محدودة، ومن لوازم الجسم المحدود أن يكون في جهة، ولذا يعتقدون أن ذات الله في جهة فوق، وليس المراد بكونهم مجسمة اعتقادهم أنه تعالى مركب من لحم ودم، مع أن بعض الفرق الشاذة الضالة قالت بذلك، بل المراد اعتقادهم أن الله تعالى متحيز. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً؛ فإن كل متحيز محدود، وكل محدود مُحدَث لأنه مفتقر إلى من يخصِّصُه بقَدْرٍ معيَّن دون غيره، فمهما عَظُمَ حَجْمُ المتحيِّز فهو مربوب مخلوق.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (ج١/ص ٤٠٠) تحقيق د. يحيى الهنيدي، نشر مجمع الملك فهد للطباعة، ١٤٢٦هـ.

(٣) السابق (ج٢/ص ٤٣٢) (راجع بيان تلبيس الجهمية، ج١/ص٣٥٩).

(٤) راجع بيان تلبيس الجهمية، (ج١/ص٣٥٩)

وقد ردّ العلامة محمد حياة السندي على هاتين الطائفتين بقوله: «لَا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ إِثْبَاتُ الجِهَةِ وَالجِسْمِ؛ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ فِي القَلْبِ قُوَّةً مُدْرِكَةً أَنَّهُ إِلَهٌ مَوْصُوفٌ بِمَا يَلِيقُ بِهِ، مُنَزَّهٌ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَ تِلْكَ القُوَّةِ فِي العَيْنِ، فَيُرَى كَمَا تَلِيقُ الرُّؤْيَةُ بِهِ سُبْحَانَه[١]».

وهذا الجواب الذي ذكره العلامة السِّندي قد قرره أئمة أهل السنة من قبل وردوا به على المعتزلة والمجسِّمة، منهم الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣][٢]، وكلامه في ذلك دقيق، وسيأتي ملخصه في كلام الإمام ابن عطية.

وهو أيضا جواب الإمام أبي الحسن الأشعري كما نقل ابن فورك عنه في «مجرد المقالات» إذ قال: وكان الأشعري يجيب عن سؤال من يسأله: كيف يُرَى اللهُ؟ فيقول: إن هذا لا يخلو من أن يكون سؤالا عن كيفية الرؤية، أو عن كيفية المرئي، أو عن كيفية الرائي. ثم قال: إن كان سؤالا عن كيفية المرئي فلا كيفية له؛ لأنه ليس بأجزاء مركبة، ويقول للمعتزلة: **هذا كما تحيلون أنتم ونحن كلام من يسأل فيقول: كيف يُعلَمُ؟ والجواب أنه يُرى بلا كيفية له، كما يُعلَمُ بلا كيفية له**[٣].

وهو أيضا جواب الإمام ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] إذ قال: «أجمع

(١) الجنة في عقيدة أهل السنة، ص ٦٢

(٢) راجع جامع البيان، (ج٩/ص٤٦٦ ـ ٤٦٨) طبعة دار هجر.

(٣) مجرد مقالات الإمام الشعري، ص ٨٣

أهل السُّنة على أن الله تبارك وتعالى يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون، قاله ابن وهب عن مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والوجه أن نبين جواز ذلك عقلا، ثم يسند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز، واختصار تبيين ذلك أن يعتبر بعلمنا بالله عَزَّ وَجَلَّ، فمن **حيث جاز أن نعلَمَهُ لا في مكان ولا متحيِّزاً ولا مقابِلًا، ولم يتعلق عِلْمُنا بأكثر من الوجود، جاز أن نراه غير مقابِلٍ ولا محاذٍ ولا مكيَّفاً ولا محدوداً**. وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول: مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة(١).

وهو أيضا جواب الإمام الحافظ محي الدين النووي إذ قال: «مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق، لا على سبيل الاشتراط، وقد قرّر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية، **وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى إِثْبَاتُ جِهَةٍ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ! بَلْ يَرَاهُ الـمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ، كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ**(٢).

فهذه بعض أجوبة الأئمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أمّا أجوبة ابن تيمية ومن يقلده في عقيدته فهي غير دافعة لشبهة المعتزلة، بل هي مقرِّرة للتجسيم الذي ثبت بالعقل والنقل بطلانه في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ومخالِفةٌ لِما عليه جمهور أئمة أهل السنة، ومن ذلك قول الشيخ محمد صالح بن عثيمين في شرحه على العقيدة الواسطية عندما أراد أن يردّ على المعتزلة، فنقل شبهتهم قائلا على لسانهم: «لو كان الله يُرَى لزم أن يكون جسماً، والجسم ممتنع على الله؛ لأنه يستلزم

(١) المحرر الوجيز (ج٣/ص٤٣٣) طبعة قطر.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج٣/ص١٦).

التشبيه والتمثيل» ثم ردّ بقوله: «والرد عليهم أنه إن كان يلزم من رؤية الله تعالى أن يكون جسماً فليَكُنْ ذَلِكَ، لكننا نعلم علم اليقين أنه لا يماثل أجسام المخلوقين[1].

فالفرق ظاهر بين جواب أئمة أهل السنة بما فيهم جواب العلامة محمد حياة السندي، وجواب الشيخ ابن عثيمين، والعجيب أن ابن تيمية مِنْ قبلُ ومن سار على نهجه يدَّعون أنهم يمثلون عقيدة أهل السنة، وشتان بين المعتقدين، فأهل السنة يثبتون رؤية الله ﷻ مع تقرير التنزيه عن الجسمية ولوازمها، وهؤلاء يقررون التجسيم ويُقِرُّون به، فلا على المعتزلة رَدُّوا، ولا حقيقة رؤية الله ﷻ أثبتوا لأنه إذا بطلت جسميةُ الله عندهم لزم بطلان رؤيته عندهم لأنهم يعتقدون أن ما ليس بجِسْمٍ فهو معدوم، والمعدوم لا يُرَى.

۞ المسألة الثانية: قِدَمُ الكلام القائم بذاته تعالى.

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى متكلِّمٌ بكلام وجودي قديمٍ قائم بذاته، وأنّ «القرآن» يقال باشتراك على أمور منها هذه الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى، والقرآن بهذا الاعتبار صفةُ ذاتٍ لله ﷻ لأنّ مرجعه لصفة الكلام القديم القائم بالذات العليّة، وصفات الذات كالعِلْمِ يستحيلُ أن تكون مخلوقةً أو مُحدثَةً؛ لأن حدوثها يستلزم سبقها بضدِّها، وهو نَقْصٌ يتعالى الله عنه، وضد العلم: الجهل، وضد الكلام: السكوت، وكلاهما نقص.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، (ج١/ص٤٥٨) دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٢١هـ

ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القُرْآنُ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وعِلْمُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ»[١]، يريد قياس صفة الكلام على صفة العلم، فكما استحال أن يكون عِلْمُ الله تعالى مخلوقاً أو محدثاً، استحالَ أن يكون كلامه القائم بذاته عَزَّ وَجَلَّ مخلوقاً أو محدثاً. وقال الإمام ابن جرير الطبري في وصف الله تعالى: «هُوَ المتكلِّمُ الَّذِي لا يجوز عليه السُّكوتُ»[٢]، وهذا نقيض قول من يقول: إن الله يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء.

وقِدَمُ القرآن القائم بذات الله عَزَّ وَجَلَّ قاعدة قررَها أهل السُّنة سلفاً وخلفاً، فقال الإمام ابن خزيمة: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ مَخْلُوقٌ وَلَا مَفْعُولٌ وَلَا مُحْدَثٌ[٣].

وبهذا أيضا صرح الإمام ابن جرير الطبري حيث قال: «القُرْآنُ: الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللهِ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ لَمْ يَزَلْ صِفَةً قَبْلَ كَوْنِ الخَلْقِ جَمِيعًا، وَلَا يَزَالُ بَعْدَ فَنَائِهِمْ[٤].

وقال الإمام البيهقي: «القُرْآنُ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَامُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ مَخْلُوقاً وَلَا مُحْدَثاً وَلَا حَادِثاً»[٥].

وقال الإمام اللالكائي مبينا عقيدة أهل السنة في القرآن الذي هو صفةُ

(١) نقله الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (ج٢/ص٣٩١).
(٢) راجع التبصير في معالم الدين (ص ١٢٨).
(٣) راجع سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣٨١/١٤) طبعة مؤسسة الرسالة.
(٤) راجع التبصير في معالم الدين (ص ١٥٢).
(٥) اعتقاد أهل السنة، (ج١/ص٩٥).

اللهِ: هُوَ قُرْآنٌ وَاحِدٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَغَيْرُ مَجْعُولٍ وَمَرْبُوبٍ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّماً. وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ(١).

قال الإمام وكيع بن الجراح: مَنْ قَالَ «إِنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ» فَقَدَ زَعَمَ أَنَّ القُرْآنَ مُحْدَثٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ القرآنَ مُحدَثٌ فقد كفَر(٢).

وقال أيضاً: من زعم أن القرآن مخلوقٌ فقد زعم أن القرآن محدَثٌ، ومن زعم أن القرآن محدَثٌ فقد كفر بما أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

فهذا هو معتقد أهل السنة في صفة الكلام ـ القرآن ـ القائم بذات الله عَزَّ وَجَلَّ، وبه صرّح الشيخ العلامة محمد حياة السندي في كتابه «الجُنَّة في عقيدة أهل السنة» بقوله: «إِنَّهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَائِمٍ بِذَاتِهِ قَدِيمٍ غَيْرِ حَادِثٍ؛ إِذْ هُوَ مُنَزَّهٌ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ التَّغَيُّرُ، وَهُوَ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ(٤).

والمخالفون لأهل السنة في قِدَم صفة الكلام طائفتان إجمالا:

❋ **الأولى**: المعتزلة ومن تبعهم من الشيعة بجميع فِرَقهم، فهؤلاء ينفون

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج٢/ص٣٦٤).

(٢) السابق (ج٢/ص٢٨٤).

(٣) السابق (ج٢/ص٣٥٠) وهذه الأحكام المطلقة فيها نظر؛ فإن جمهور أهل السنة ـ الأشاعرة خصوصا ـ على عدم تكفير المخالفين في المعلوم من الدين بالنظر، وهذه مسائل نظرية وليست معلومة من الدين بالضرورة. والكفر: هو جحد ما علم من الدين بالضرورة بالقول أو بما يدل عليه من الفعل.

(٤) الجنة، (ص ٥٠).

أصلا أن يقوم بذات الله تعالى صفة وجودية، ومنها صفة الكلام، ويتخيلون أنّ القول بوجودية الصفات يلزم منه القول بتعدد القُدمَاء، وقد ردّ عليهم أهل السنة بأنّ ذلك غير لازم، فإن المحذور هو تعدد الذوات القديمة، وأمّا هنا فالقديم سبحانه واحد وهو الذات المتصف بالصفات القديمة، فلا يلزم من ذلك تعدد القدماء، وأيضا فتجريد الذات عن الصفات يؤدي إلى القول بقِدَم العالَـم وغيرها من ترهات الفلاسفة التي ثبت بطلانها.

* **والثانية:** المجسِّمة الذين سبق أنهم يخالفون أهل السُّنة في مسألة رؤية الله عَجَلَك، وهؤلاء أثبتوا لله تعالى كلاماً محدَثاً يقوم بذاته تعالى، وجعلوا القرآن محدثاً بذات الله تعالى، وجعلوه من صفات الله الفِعْلِية، وصرحوا بأنّ الله تعالى يكون محلًّا للصفات الحادثة(١).

ومن الذين اشتهر عنهم هذا المذهب وله أثر في مقلديه(٢) في هذا الزمان

(١) قال ابن تيمية في كتابه «الرد على المنطقيين» في رده على من ينزه الله تعالى عن أن تقوم بذاته الحوادث: أئمة السلف وأئمة السنة لا يمنعون هذا [أي لا يمنعون قيام الحوادث بذات الله تعالى] بل يجوزونه، بل يوجبونه يقولون: «إن الله لم يزل متكلما إذا شاء»، بل يقولون: إنه لم يزل فاعلا تقوم به الأفعال الاختيارية بمشيئته وقدرته. (ص ٢٧٥ تحقيق الشيخ عبد الصمد الكتبي، مؤسسة الريان، ط١، ٢٠٠٥م) وهو خلاف قواعد أهل السنة كما صرّح العلامة السندي بأن الله تعالى يستحيل أن يكون محلا للحوادث، وسيأتي ذكر كلامه.

(٢) وقد سبق أن عامة مقلديه في العقيدة يعرفون بالوهابية، ومنهم الشيخ صالح الفوزان حيث يقول: كلام الله قديم النوع مثل سائر الصفات حادِثُ الآحادث. ويقول: آحاد الكلام تتجدد وتحدث شيئا فشيئا، يتكلم متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كسائر صفاته الفعلية. (شرح لمعة الاعتقاد ص ١٠٧، ١٠٨) ويعني بالآحاد: القرآن القائم بذات الله. وقال الشيخ ابن عثيمين في شرح لمعة الاعتقاد: «كلام الله قديم النوع حادث الآحاد» (شرح لمعة=

هو الشيخ ابن تيمية، إذ يصرح بأنّ القرآن محدَثٌ في ذات الله تعالى، ويخالف جميع من سبق ذِكْرُهم من أهل السنة وغيرهم، فيقول مثلا في فتاويه عن القرآن الذي هو من صفات الله تعالى: «هُوَ حَادِثٌ فِي ذَاتِهِ، وهل يقال: أحدَثَهُ في ذاته؟ على قولين: أصحُّهما أنه يقال ذلك، كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]»[(١)].

وكلام ابن تيمية في حدوث القرآن القائم بذات الله تعالى معروف عند الباحثين، ولا دليل له في الآية الكريمة على أنّ القرآن مُحدَث في ذات الله تعالى، بل هو استدلال باطل سلَكَهُ المعتزلة لإثبات أنّ القرآن مخلوقٌ محدَثٌ بعد العدَم، وردّ عليهم أهل السنة وبينوا أن الذِّكر المحدَث الوارد في الآية ليس المراد به الكلام القائم بذات الله ﷻ؛ فإن الله تعالى قديم الذات وقديم الصفات، يستحيل أن يكون محلا للصفات الحادثة؛ لأنه كما قال الإمام ابن جرير الطبري: «مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الحَدَثِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مُحدَثٌ»[(٢)]، وكما قال الشيخ ابن بطة العكبري: «كُلُّ مَنْ حَدَثَتْ صِفَاتُهُ فَمُحْدَثٌ ذَاتُهُ، وَمَنْ حَدَثَ ذَاتُهُ وَصِفَتُهُ فَإِلَى فَنَاءٍ حيَاتُه، وتَعالَى الله عن ذلك عُلوّاً كبيراً»[(٣)].

فيستحيل أن يتصف الله بما يدل على حدوثه، ولذا قال الإمام البخاري

= الاعتقاد، ص ٧٤) ويعني بالآحاد: القرآن القائم بذات الله. وهو نقيض ما صرح به أهل السنة فيما سبق من نقل بعض أقوالهم.

(١) مجموع الفتاوى (ج٦/ص٣٢٨) جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) التاريخ (ج١/ص٢٨).

(٣) الإبانة (ج٢/ص١٨٣).

في كتاب خلق الأفعال: وأمَّا تحريفُهم: ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فإنَّما حدَثَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لَمَّا عَلَّمَهُ اللهُ ما لَمْ يكن يعلم[١].

وقال الحافظ المفسر الإمام الحسن البغوي: الذِّكْرُ المحدَث: ما قاله النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيَّنَهُ من السُّنَن والمواعظ سوى ما في القرآن، وأضافه إلى الرب عَزَّ وَجَلَّ لأنه قاله بأمر الرب[٢].

وقال الشيخ ابن بطة العكبري: الذِّكْرُ المحدَث هو ما يَحْدُثُ مِنْ سامِعيهِ ومِمَّن عَلِمَهُ وأُنزِلَ إليه، **لا أنَّ القرآن مُحْدَثٌ عندَ الله، ولا أنّ الله كان ولا قرآن»**[٣]. **(٢/١٨٥)**

وقال الإمام القرطبي: يريد: في النزول وتلاوة جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد آية، كما كان ينزِّلُه اللهُ تعالى عليه في وقت بعد وقت، لا أنّ القرآن مخلوقٌ[٤].

وأيضا فإن العلامة محمد حياة السندي بعد تقريره قِدَم القرآن القائِم بذات الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ولا ينافيه قولُه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] لأن معناه ـ والله أعلم ـ: محدَثٌ حُصُولُه عِنْدَ مَنْ أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا جَاهِلِينَ بِهِ قَبْلَ نُزُولِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا أَتَاهُمْ إِلَّا بَعْدَ وُجُودِهِمْ

---

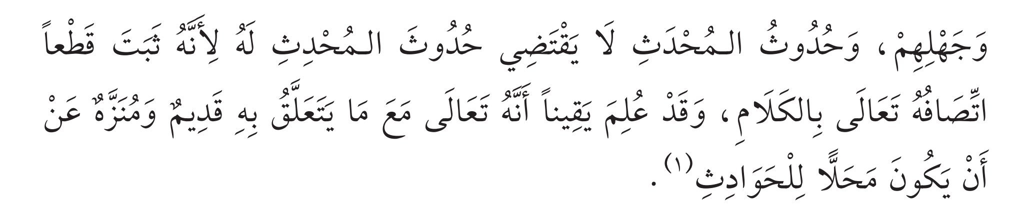
(١) معالم التنزيل (ج٥/ص٣٠٦).

(٢) (ص٢٣). طبعة مؤسسة الرسالة.

(٣) الإبانة (ج٢/ص١٨٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (ج١٤/ص١٧٢).




وَجَهْلِهِمْ، وَحُدُوثُ الـمُحْدَثِ لَا يَقْتَضِي حُدُوثَ الـمُحْدِثِ لَهُ لِأَنَّهُ ثَبَتَ قَطْعاً اتِّصَافُهُ تَعَالَى بِالكَلَامِ، وَقَدْ عُلِمَ يَقِيناً أَنَّهُ تَعَالَى مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ قَدِيمٌ وَمُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ[1].

فهذه بعض المسائل الدقيقة التي بين فيها العلامة السندي عقيدة أهل السنة، وما يجب على المسلم اعتقادُه في شأنها، وفيها تصحيح لبعض المغالطات ورَدٌّ على بعض الشبهات الملقاة على عقيدة أهل السنة الأشاعرة، لا سيما من أتباع عقيدة ابن تيمية الذين يحاولون بكل ما أوتوا من جهد قلب الحقيقة وإيهام أنّ الأشاعرة فرقة مبتدعة وجهمية وغير ذلك من النعوت التي خلعوها على أئمة المسلمين، ولا شك أنهم يرومون فِعْل المستحيل؛ لأن جمهور علماء الأمة المعتبرين طيلة عشرة قرون مطبقون في مغرب بلاد المسلمين ومشرقها على أنّ الأشعرية ليست سوى امتداداً لِما كان عليه أئمة السلف الصالح في باب العقائد، وهذا ما يؤكده لنا العلامة السندي، وما ستظهره الأيام القادمة أكثر فأكثر إن شاء الله تعالى.

هذا، وفي ثنايا هذه الرسالة للعلامة السندي وأيضا في كتابه «الجُنة في عقيدة أهل السنة» فوائد عزيزة وقواعد منيفة، أنصح القارئ بتدبرها والتمعن فيها، فإن هذا العلم العظيم وإن كان لا يكفي التقليد في مسائله النظرية للوصول إلى الحق، إلا أنه لا بأس بالاستئناس بكلام العلماء الفضلاء الأتقياء كالعلامة السندي للاستعانة به على إدراك النظر الصحيح للوصول إلى الحقائق العقدية، والله ولي التوفيق.

(١) راجع الجنة في عقيدة أهل السنة (ص ٥١).



الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ حَامِدٌ لِذَاتِهِ بِذَاتِهِ، وَدَلَّ بِمُبْدَعَاتِهِ عَلَى كَمَالَاتِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا بِصَلَوَاتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَقُولُ أَفْقَرُ عِبَادِ اللهِ مُحَمَّدٌ حَيَاة السِّنْدِيُّ ثُمَّ المَدَنِيُّ: إِنَّ أَخِي «خُوجَه مِيرْزَا» جَمَعَ رِسَالَةً فِي العَقَائِدِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَشْرَحَهَا شَرْحاً مُشْتَمِلاً عَلَى بَعْضِ الفَوَائِدِ، فَأَجَبْتُهُ لِذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِمَا هُنَالِكَ.

قَالَ الجَامِعُ: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) أَيْ: أَشْرَعُ فِي جَمْعِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مُسْتَعِيناً بِاسْمِ اللهِ الوَاجِبِ الوُجُودِ الَّذِي عَمَّ العَوَالِمَ بِجَلَائِلِ النِّعَمِ وَسَوَابِغِ الآلَاءِ.

(الحَمْدُ) هُوَ الثَّنَاءُ الجَمِيلُ **(لِلَّهِ)** الَّذِي جَلَّ فِي جَلَالِهِ وَعَزَّ فِي كَمَالِهِ وَانْفَرَدَ فِي أَفْضَالِهِ **(رَبِّ العَالَمِينَ)** الَّذِي أَوْجَدَهُمْ مِنَ العَدَمِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ أَبْحُرَ النِّعَمِ، وَوَقَاهُمْ مِنَ النِّقَمِ.

وَهُوَ جَمْعُ عَالَمٍ: وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا جُمِعَ تَنْبِيهاً عَلَى كَثْرَةِ أَنْوَاعِهِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ مَا سِوَاهُ تَعَالَى «عَالَماً» لِأَنَّهُ عَلَمٌ عَلَى اتِّصَافِهِ بِأَوْصَافِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ، وَتَقَدُّسِهِ عَنْ صِفَاتِ أَهْلِ الاخْتِلَالِ، فَمَا مِنْ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ

العَالَمِينَ إِلَّا وَهُوَ بُرْهَانٌ جَلِيٌّ عَلَيْهِ.

(وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مِنَ اللهِ وَمِنْ عِبَادِهِ **(عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ)** الَّذِي فَاقَهُمْ خَلْقاً وَخُلُقاً وَجَاهاً وَكَمَالًا **(وَعَلَى آلِهِ)** الَّذِينَ تَشَرَّفُوا بِالانْتِسَابِ إِلَيْهِ، **(وَصَحْبِهِ)** الَّذِينَ فَازُوا بِصُحْبَتِهِ **(أَجْمَعِينَ)** وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى بَعْضِ المُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ زُبْدَةَ الصَّحَابَةِ.

(اعْلَمْ) خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْخِطَابِ **(أَنَّ هَذِهِ)** إِشَارَةٌ إِلَى الرِّسَالَةِ الَّتِي جَمَعَهَا، كَأَنَّهَا لِكَمَالِ اسْتِحْضَارِهَا مَحْسوسَةٌ، **(مُقَدِّمَةٌ)** أَيْ مَسَائِلُ مُهِمَّةٌ قُدِّمَتْ أَمَامَ المَقْصُودِ، وَ **(لُخِّصَتْ)** أُخِذَتْ مُهَذَّبَةً **(مِنْ أُمِّ البَرَاهِينِ)** الَّتِي أَلَّفَهَا الإِمَامُ المَشْهُورُ السَّنُوسِيُّ، **(وَغَيْرِهَا مِنَ)** الكُتُبِ **(المُعْتَمَدَاتِ)** فِي بَابِ العَقَائِدِ.

(يَجِبُ) وُجُوباً قَطْعِيّاً عَلَى المُكَلَّفِ ـ وَهُوَ البَالِغُ العَاقِلُ ـ **(اعْتِقَادُ)** حَقِّيَّةِ **(مَا فِيهَا)** مِنَ العَقَائِدِ.

(فَأَقُولُ) بِلِسَانِي، **(مُعْتَقِداً)** بِجَنَانِي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَإِذْعَانٌ بِالجَنَانِ:

(لَا إِلَهَ) بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ **(إِلَّا اللهُ)** الَّذِي وُجُودُهُ بِذَاتِهِ، **(وَحْدَهُ)** فِي صِفَاتِهِ **(لَا شَرِيكَ لَهُ)** فِي أَفْعَالِهِ.

(وَلَهُ صِفَاتٌ أَزَلِيَّةٌ) لَازِمَةٌ لِذَاتِهِ، **(أَبَدِيَّةٌ)** لَا تُفَارِقُ ذَاتَهُ قَطُّ، **(قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ)** قِيَامَ الصِّفَةِ بِالمَوْصُوفِ، **(لَا هِيَ هُوَ)** أَيْ لَيْسَتْ تِلْكَ الصِّفَاتُ عَيْنَ

ذَاتِهِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَقُومُ بِالـمَوْصُوفِ لَا تَكُونُ عَيْنَهُ، لَا فِي الوَاقِعِ وَلَا فِي الفَهْمِ، وَ (لَا) هِيَ (غَيْرُهُ) لِأَنَّ ذَاتَهُ الـمُقَدَّسَة لَا تُعْقَلُ إِلَّا بِهَا وَلَا تُفَارِقُهَا، فَكَأَنَّهَا مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ عَيْنُ الذَّاتِ[1].

(وَهِيَ الوُجُودُ) وَهِيَ صِفَةٌ تُضَادُّ العَدَمَ.

(وَالقِدَمُ) وَهِيَ صِفَةٌ تُضَادُّ سَبْقَ العَدَمِ.

(وَالبَقَاءُ) وَهِيَ صِفَةٌ تُضَادُّ الفَنَاءَ بَعْدَ الوُجُودِ.

(وَمُخَالَفَتُهُ الحَوَادِثَ) فِيما هُوَ مِنْ خَوَاصِّهَا[2].

(وَقِيَامُهُ بِنَفْسِهِ) لَا يَحْتَاجُ فِي قِيَامِهِ إِلَى شَيْءٍ لِأَنَّ وُجُودَهُ بِذَاتِهِ، فَمَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ.

(وَالوَحْدَانِيَّةُ) لَا يَقْبَلُ الاثْنَيْنِيَّةَ بِوَجْهٍ مَا.

(وَالقُدْرَةُ) هِيَ صِفَةٌ لَهُ أَزَلِيَّةٌ تُؤَثِّرُ فِي المُمْكِنَاتِ عِنْدَ تَعَلُّقِهَا بِهَا، وَتَتَصَرَّفُ فِيهَا.

---

(١) وهذه عقيدة أهل السنة خصوصا الأشاعرة والماتريدية، خلافا للمعتزلة والشيعة الذين ينفون الصفات الوجودية رأساً، فليس عندهم في اعتقادهم إلا الذات مجردة عن الصفات، وخلافا للوهابية الذين يقلدون ابن تيمية ويقولون بأن صفات الله منها القديم ومنها المحدَث الذي يقوم به شيئا فشيئا، وقد ردّ عليهم الشيخ محمد حياة السندي في كتابه الفريد: «الجنة في عقيدة أهل السنة» (ص ٥٠).

(٢) خواص المحدثات التي يتنزه الله عنها لا حصر لها، أجملها الشيخ محمد حياة السندي في كتابه «الجنة في عقيدة أهل السنة» بقوله: «هو تعالى منزّه عما لا يليق به كالشريك، والوزير، والصديق، والـمُعين، والولد، والزوجة، والظلم، والنقص، **والتغيير**، **والحدوث**، **والانفعال**، والعبث وغيرها مما لا يليق به». (ص ٦٢)

(وَالإِرَادَةُ) وَهِيَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا تَخْصِيصُ بَعْضِ الـمُمْكِنَاتِ بِوُجُودٍ بَوَجْهٍ مَخْصُوصٍ.

(وَالعِلْمُ) هِيَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ انْكَشَفَ[1] لَهُ بِهَا جَمِيعُ المَعْلُومَاتِ.

(وَالحَيَاةُ) صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ تَقْتَضِي الاتِّصَافَ بِأَشْرَفِ الأَوْصَافِ.

(وَالسَّمْعُ) صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مَسْمُوعاً.

(وَالبَصَرُ) صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مُبْصَراً.

وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ مُخَالِفَانِ لِلْعِلْمِ.

(وَالكَلَامُ الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ) كَالحُرُوفِ الصَّادِرَةِ مِنْ أَفْوَاهِ العِبَادِ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مَخَارِجَ مَخْصُوصَةٍ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، **(وَلَا صَوْتٍ)** كَأَصْوَاتِ الخَلْقِ لِأَنَّهُ تَضَاغُطُ الهَوَاءِ، وَالبَارِي مُقَدَّسٌ عَنْهُ.

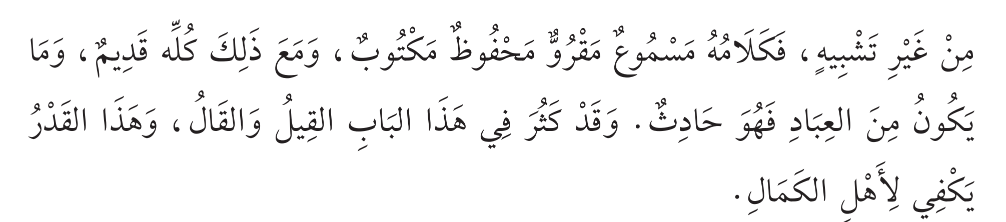
فَكَلَامُهُ وَصْفٌ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ قَائِمٌ بِذَاتِهِ[2]، يُسْمِعُ كَلَامَهُ مَنْ يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ

(١) انكشافا بلا سبق خفاء. تعالى الله عن أن يكون عِلمه مسبوقاً بالجهل.

(٢) وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية خصوصا، وأكدها الشيخ محمد حياة السندي في كتابه «الجنة في عقيدة أهل السنة» بقوله: «إنه تعالى متكلم بكلام قائم بذاته قديم غير حادث؛ إذ هو منزَّه أن يكون محلا للحوادث؛ لأنه يلزم من ذلك التغير، وهو عليه تعالى محال. (ص ٥٠)

وهذا هو الحق المبين، خلافا لابن تيمية ومن تبعه من الوهابية في قولهم الشهير بأن الله تعالى يُحدِثُ في ذاته حروفاً وأصواتاً يتكلم بها ويسكت كما يشاء، ويُحدِث ما يشاء من الأفعال المحدَثة في ذاته بعد العدم، ويسمون ذلك صفات اختيارية، وقد علمت بما قرره الشيخ السندي أن ذلك يؤدي إلى حدوث الإله؛ فإنّ ما لا يخلو من الصفات=




مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ، فَكَلَامُهُ مَسْمُوعٌ مَقْرُوٌّ مَحْفُوظٌ مَكْتُوبٌ، وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّه قَدِيمٌ، وَمَا يَكُونُ مِنَ العِبَادِ فَهُوَ حَادِثٌ. وَقَدْ كَثُرَ فِي هَذَا البَابِ القِيلُ وَالقَالُ، وَهَذَا القَدْرُ يَكْفِي لِأَهْلِ الكَمَالِ.

(فَكَانَ) الحَقُّ تَعَالَى بِسَبَبِ اتِّصَافِهِ بِالأَوْصَافِ الـمَذْكُورَةِ **(قَادِراً)** عَلَى كُلِّ مُـمْكِنٍ، لَا تَخْتَصُّ قُدْرَتُهُ بِمُمْكِنٍ دُونَ مُـمْكِنٍ، **(وَمُرِيداً)** لِإِيجَادِ بَعْضِ الـمُمْكِنَاتِ، **(وَعَالِـماً)** بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، لَا يَتَبَدَّلُ عِلْمُهُ بِتَبَدُّلِ الـمَعْلُومَاتِ، **(وَحَيّاً)** بِحَيَاةٍ أَزَلِيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ، **(وَسَمِيعاً)** لِـجَمِيعِ الـمَسْمُوعَاتِ عَلَى مَرَاتِبِهَا، لَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِ مَسْمُوعٌ عَنْ مَسْمُوعٍ، **(وَبَصِيراً)** بِجَمِيعِ الـمُبْصَرَاتِ عَلَى مَنَازِلِـهَا، لَا يَنْحَجِبُ عَنْ بَصَرِهِ مُبْصَرٌ مَا، **(وَمُتَكَلِّماً)** بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ يُسْمِعُ كَلَامَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

(وَهَذِهِ) المَذْكُورَاتُ **(عِشْرُونَ صِفَةً)** وَفِي عَدِّ «القَادِرِ» وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الصِّفَاتِ تَسَامُحٌ(١)، **(ثُبُوتِيَّةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ، اعْتِقَادُهَا مِنَ الوَاجِبَاتِ)** عَلَى

= الحادثة هو في الحقيقة حادثٌ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

وقد قال الإمام ابن جرير الطبري: «مَا لَـمْ يَـخْلُ مِنَ الحَدَثِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مُحدَثٌ» (التاريخ ج١/ص٢٨) فهي قاعدة عقلية مقررة ومجمع عليها قبل أن يخالف ابن تيمية فيها ويدعي أن الله تعالى لا يخلو من الحوادث لكنه غير محدَث، وهو مسبوق بتقرير كبار العلماء كالإمام الطبري لتلك القاعدة، ومحجوج بالبراهين العقلية الدالة عليها.

(١) وجه التسامح أن «القادر» و«المريد» و«العالم» مثلا مرجعها إلى قيام القدرة والإرادة والعلم بذاته العلية، وليست صفات وجودية زائدة على القدرة والإرادة والعلم، واصطلاح علماء أصول الدين على أن الصفة تطلق على الأمر الوجودي القائم بالموصوف، لكن لما جرى إطلاق «القادر» و«المريد» و«العالم» في حقه تعالى=

كُلِّ عَاقِلٍ بَالِغٍ.

(وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ عِشْرُونَ صِفَةً أُخْرَى سَلْبِيَّةً) وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ سَلْبِيَّةً لِأَنَّ الـمَقْصُودَ مِنْهَا سَلْبُهَا وَنَفْيُهَا عَنِ البَارِي لِكَوْنِهَا مُسْتَحِيلَةً فِي حَقِّهِ تَعَالَى.

وَهِيَ **(ضِدُّ العِشْرِينَ الـمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ)** أَيْ الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ: **(العَدَمُ)** وَهُوَ ضِدُّ الوُجُودِ، **(وَالحُدُوثُ)** وَهُوَ ضِدُّ القِدَمِ، **(وَطُرُوُّ العَدَمِ)** بَعْدَ الوُجُودِ وَهُوَ ضِدُّ البَقَاءِ، **(وَالـمُمَاثَلَةُ)** لِـمَا سِوَاهُ وَهِيَ ضِدُّ مُخَالَفَتِهِ **(لِلْحَوَادِثِ)**، فَذَاتُهُ لَا تُـمَاثِلُ ذَاتَ مَا سِوَاهُ وَلَا صِفَاتُهُ صِفَاته وَلَا أَفْعَالُهِ أَفْعَالَهُ، **(وَالافْتِقَارُ)** وَهُوَ ضِدُّ قِيَامِهِ بِنَفْسِهِ، **(وَالتَّعَدُّدُ)** وَهُوَ ضِدُّ الوَحْدَانِيَّةِ، فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، **(وَالعَجْزُ)** وَهُوَ ضِدُّ القُدْرَةِ، **(وَالإِكْرَاهُ)** وَهُوَ ضِدُّ الإِرَادَةِ وَالاخْتِيَارِ، **(وَالجَهْلُ)** وَهُوَ ضِدُّ العِلْمِ، **(وَالـمَوْتُ)** وَهُوَ ضِدُّ الحَيَاةِ، **(وَالصَّمَمُ)** وَهُوَ ضِدُّ السَّمْعِ، **(وَالعَمَى)** وَهُوَ ضِدُّ البَصَرِ، **(وَالبَكَمُ)** وَهُوَ ضِدُّ الكَلَامِ.

(فَلَمْ يَكُنْ) ـ بِسَبَبِ اتِّصَافِهِ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَوْصَافِ الكَمَالِ وَتَنَزُّهِهِ عَنْ أَضْدَادِهَا لِكَوْنِهَا مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الزَّوَالِ ـ **(عَاجِزاً)** عَنْ إِيجَادِ مَا تَعَلَّقَتْ قُدْرَتُهُ بِإِيجَادِهِ، وَلَـمْ يَكُنْ **(مُكْرَهاً)** فِيمَا يَخْلُقُ وَيَفْعَلُ، بَلْ هُوَ الفَاعِلُ الـمُخْتَارُ، وَلَـمْ يَكُنْ **(جَاهِلًا)** عَنْ مَعْلُومٍ مَا، وَلَـمْ يَكُنْ **(مَيِّتاً)**، وَلَـمْ يَكُنْ **(أَصَمَّ)**، وَلَـمْ يَكُنْ **(أَعْمَى)**، وَلَـمْ يَكُنْ **(أَبْكَمَ)**.

= تسومح في عدها صفات لأنه تعالى يوصف بها لفظا، وإلا فهي راجعة إلى الصفات الوجودية، ولا وجود لها يخصها. والله أعلم.

(وَهُوَ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (مُتَّصِفٌ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الكَمَالِ الَّتِي أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ) فِي كُتُبِهِ الـمُنَزَّلَةِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، فَهُوَ مَوْصُوفٌ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ العَلِيَّةِ كَمَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ، وَلَا يَعْلَمُ حَقَائِقَهَا كَمَا يَنْبَغِي غَيْرُهُ.

(وَ) هُوَ (مُنَزَّهٌ عَنْ) جَمِيعِ (صِفَاتِ النَّقْصِ وَالزَّوَالِ الَّتِي نَزَّهَ ذَاتَهُ عَنْهَا) وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَمَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَوْصَافِ الكَمَالِ نُثْبِتُهَا لَهُ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ[1]، وَمَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الاخْتِلَالِ نُنَزِّهُهُ عَنْهُ، وَهَذَا الـمَشْرَبُ أَحْسَنُ وَأَسْلَمُ، وَهُوَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ـ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ.

(أَمَّا دَلِيلُ الوُجُودِ) فَقَوْلُهُ الَّذِي قَالَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ بِإِعْجَازِهِ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِهِ: (﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ﴾) الَّذِينَ أَثْبَتَ رِسَالَتَهُمْ بِمُعْجِزَاتِهِمْ وَهُمْ أَعْرَفُ الخَلْقِ بِهِ: (﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]) أَيْ: لَا شَكَّ فِي وُجُودِ اللهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنَ العَدَمِ[2].

---

(١) قد علمت أن مراد العلامة السندي بالتشبية في الصفات هو اعتقاد كونها محدَثة بعد العدم وأن الله تعالى متغير منفعل، ولذا قرر الحق وهو أن الله تعالى قديم = بجميع صفاته، منزَّه عن الحدوث وآفاته، وأما التعطيل فهو نفي الصفات رأسا كما يقول أهل الاعتزال والشيعة بجميع طوائفها خصوصا الإمامية التي هي أكبرها في زماننا، وقد بين أهل السنة الحق في المطولات وردوا على المخالفين في ذلك.

(٢) وهذا المنهج القرآني في إثبات العلم بوجوب وجود الله تعالى ووجوب اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص والزوال هو منهج أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية خصوصا، وقد بسط العلامة السندي هذا الدليل في كتابه الفريد «الجنة في عقيدة أهل السنة» فقال: «تغيُّرُ العالـَم من حال إلى حال علامة حدوثه؛ إذ لو كان=

وَقَدِ اعْتَرَفَ أَكْثَرُ الكُفَّارِ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُمَا كَمَا قَالَ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وَوُجُودُهُمَا مُتَوَقِّفٌ عَلَى وُجُودِ مُوجِدِهِمَا، فَوُجُودُهُمَا أَجْلَى دَلِيلٍ عَلَى وُجُودِهِ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ القِدَمِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾) الَّذِي لَا بِدَايَةَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، (﴿وَٱلْآخِرُ﴾) الَّذِي لَا نِهَايَةَ لِآخِرِيَّتِهِ، (﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾) الَّذِي دَلَّ كُلُّ المَصْنُوعَاتِ عَلَى وُجُودِهِ وَكَمَالِهِ، (﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]) الَّذِي لَا يَعْلَمُ كُنْهَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ غَيْرُهُ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ البَقَاءِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾) أَيْ عَلَى الأَرْضِ (﴿فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ﴾) ذَاتُ (﴿رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾) أَيْ أَوْصَافِ الكَمَالِ فِي ذَاتِهِ (﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]) لِعِبَادِهِ، يُكْرِمُ بِأَنْوَاعِ الكَرَامَاتِ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ المُخَالَفَةِ) لِمَا سِوَاهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾) الكَافُ صِلَةٌ (﴿شَيْءٌ﴾) فَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ وَلَا يُجَانِسُهُ وَلَا يُضَادُّ، تَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ عَنْ مُمَاثَلَةِ الخَلْقِ، (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾) لِجَمِيعِ المَسْمُوعَاتِ،

= قديماً لما تغيَّرَ، وحدوثُه يدل على أن له محدِثاً؛ إذ حدوثُه بلا محدث محال، وكذا حدوثُه بذاته باطل. ولابد أن يكون ذلك المحدِث موجوداً؛ إذ المعدومُ لا يوجد الموجودَ، ولابد أن يكون وجوده بذاته؛ إذ لو كان من غيره فلا يخلو إما أن يكون لذلك الغير موجدٌ آخر، وهلم جرا إلى ما لا نهاية له، فهو تسلسل، وهو باطل، أو يكون كل منهما موجداً لصاحبه، وهو دور، وهو أيضا باطل، فلزم أن يكون وجود موجِد العالَم بذاته، ولابد أن يكون واجب الوجود؛ إذ لو كان جائز الوجود لاحتاج إلى مرجح الوجود على العدم، وذلك باطل لما تقدم من لزوم الدور أو التسلسل. (ص٤٤، ٤٥)



(﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]) بِجَمِيعِ الـمُبْصَرَاتِ، وَالحَصْرُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ سَمْعَ مَا سِوَاهُ وَبَصَرَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ كَأَنَّهُ مَعْدُومٌ.

(**وَأَمَّا دَلِيلُ القِيَامِ بِالنَّفْسِ**) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾) الـمُحْتَاجُونَ (﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾) فِي وُجُودِكُمْ وَبَقَائِكُمْ وَفِي جَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُمْ؛ لِأَنَّ مَا بِكُمْ فَمِنَ اللهِ تَعَالَى، (﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾) عَمَّا عَدَاهُ لِأَنَّ وُجُودَهُ وَكَمَالَهُ مِنْ ذَاتِهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ (﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]) فِي جَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَهُوَ مَحْمُودٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

(**وَأَمَّا دَلِيلُ الوَحْدَانِيَّةِ**) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿قُلْ﴾) يَا رَسُولَ اللهِ لِـهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَشُكُّونَ فِي وَحْدَانِيَّةِ اللَّه تَعَالَى: (﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]) لَا ثَانِيَ لَهُ، وَلَا ضِدَّ لَهُ، وَلَا نِدَّ.

(**وَأَمَّا دَلِيلُ القُدْرَةِ**) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾) مُمْكِنٍ (﴿قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]) لَا يَخْرُجُ مُمْكِنٌ عَنْ قُدْرَتِهِ.

(**وَأَمَّا دَلِيلُ الإِرَادَةِ**) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]) لَا مُكْرِهَ لَهُ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَا مُلْجِئَ لَهُ عَلَى صُنْعِهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِاخْتِيَارِهِ، هَلْ شَيْءٌ فَوْقَهُ أَوْ مِثْلَهُ حَتَّى يُكْرِهَهُ عَلَى فِعْلِهِ؟!

(**وَأَمَّا دَلِيلُ العِلْمِ**) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]) فَيَعْلَمُ الـمُسْتَحِيلَ مُسْتَحِيلًا، وَالوَاجِبَ وَاجِباً، وَالـمُمْكِنَ مُمْكِناً، وَالـمَعْدُومَ مَعْدُوماً، وَالـمَوْجُودَ مَوْجُوداً، وَيَعْلَمُ مَا تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِإِيجَادِهِ وَقْتَ وُجُودِهِ

وَجَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ الحَيَاةِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿وَتَوَكَّلْ﴾) يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ (﴿عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]) وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى العَبْدِ الَّذِي سَيَمُوتُ وَيَفْنَى وَيَفُوتُ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ السَّمْعِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [البقرة: ١٨١]) بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْمَعَ، فَيَسْمَعُ الـمَسْمُوعَاتِ كُلَّهَا.

(وَأَمَّا دَلِيلُ البَصَرِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾) مُطَّلِعٌ عَلَى ظَوَاهِرِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سَرَائِرِهِمْ، (﴿بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١]) بِجَمِيعِ الـمُبْصَرَاتِ.

وَحُدُوثُ الـمَسْمُوعَاتِ وَالـمُبْصَرَاتِ لَا يَقْتَضِي حُدُوثَ السَّمْعِ وَالبَصَرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ سَمِعَ بِسَمْعٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ، وَإِذَا أَبْصَرَ أَبْصَرَ بِبَصَرٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ.

(وَأَمَّا دَلِيلُ الكَلَامِ) فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]) فَهَذَا نَصٌّ عَلَى أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِوَصْفِ الكَلَامِ، وَقَدْ ثَبَتَ قَطْعاً أَنَّهُ مَعَ صِفَاتِهِ قَدِيمٌ، وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ القَدِيمَ كَيْفَ شَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِذَا لُقِّبَ «كَلِيمُ اللهِ».

(وَهَذِهِ الدَّلَائِلُ) الـمَذْكُورَةُ فِي القُرْآنِ الَّذِي دَلَّ بِكَوْنِهِ مُعْجِزاً أَنَّهُ مِنَ اللهِ قَطْعاً **(تَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ)** ثُبُوتِ وَلُزُومِ **(العِشْرِينَ الصِّفَاتِ الـمُتَقَدِّمَةِ)**.

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الـمَذْكُورَةُ كَائِنَةٌ **(مِنْ)** جُمْلَةِ **(صِفَاتٍ وَاجِبَاتٍ)** ثَابِتَاتٍ **(لَهُ سُبْحَانَهُ)** وَلَا يَعْلَمُ عَدَدَ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ اللهِ تَعَالَى، **(بِلَا كَيْفٍ وَلَا أَيْنٍ)** أَيْ: هَذِهِ الصِّفَاتُ وَغَيْرُهَا ثَابِتَةٌ لَهُ كَمَا يَلِيقُ بِذَاتِهِ الـمُقَدَّسَةِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَا تُشْبِهُ ذَاتَ مَا سِوَاهُ، كَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَات مَا عَدَاهُ.

(وَأَمَّا الجَائِزُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أَنَّ فِعْلَهُ دَلَّ عَلَى كَمَالِهِ وَأَنَّ تَرْكَهُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ نُقْصَانُهُ، **(فَيَفْعَلُ كُلَّ مُـمْكِنٍ أَوْ يَتْرُكُهُ)** فَإِنْ شَاءَ أَوْجَدَهُ وَإِنْ شَاءَ أَبْقَاهُ فِي عَدَمِهِ، وَهَذَا بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ إِلَى ذَاتِ الـمُمْكِنِ، وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ إِلَى تَعَلُّقِ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى بِوُجُودِ بَعْضِ الـمُمْكِنَاتِ فَلَابُدَّ أَنْ يُوجَدَ ذَلِكَ الـمَمْكِنُ الَّذِي تَعَلَّقَ عِلْمُهُ القَدِيمُ بِوُجُودِهِ؛ لِئَلَّا يَنْقَلِبَ عِلْمُهُ جَهْلًا، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، فَوُجُودُ مَا وُجِدَ أَوْ يُوجَدُ مِنَ الـمُمْكِنَاتِ جَائِزٌ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا، لَازِمٌ مِنْ حَيْثُ تَعَلُّقُ عِلْمِ اللهِ تَعَالَى بِوُجُودِهَا فِي أَوَانِهَا.

(وَالمُمْكِنُ) الَّذِي يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ **(هُوَ العَالَـمُ)** الَّذِي هُوَ عَلَمٌ عَلَى وُجُودِ مُوجِدِهِ وَاتِّصَافِهِ بِأَوْصَافِ الكَمَالِ وَتَقَدُّسِهِ عَنْ صِفَاتِ أَهْلِ الزَّوَالِ.

(وَالعَالَمُ: مَا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ حَادِثٌ) مَوْجُودٌ بِإِيجَادِ البَارِي بَعْدَ العَدَمِ، مُـمْكِنٌ فِي ذَاتِهِ، إِنْ شَاءَ أَوْجَدَهُ وَإِنْ شَاءَ أَبْقَاهُ فِي عَدَمِهِ.

(وَالمُحْدِثُ) الـمُوجِدُ لِلْعَالَـمِ كُلِّهِ جَوَاهِرِهِ وَأَعْرَاضِهِ **(هُوَ اللهُ)** الوَاجِبُ الوُجُودِ **(رَبُّ العَالَمِينَ)** الَّذِي أَوْجَدَهُمْ بَعْدَ العَدَمِ، وَجَعَلَهُمْ بَرَاهِينَ عَلَى صِفَاتِ القِدَمِ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ العَالَـمِ دَلِيلٌ جَلِيٌّ عَلَى مُوجِدِهَا وَمُرَتِّبِهَا.

(**مُحَمَّدٌ**) الـمَشْهُورُ الـمَعْلُومُ (**رَسُولُ اللهِ**) أَرْسَلَهُ بِالـهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، وَأَظْهَرَ صِدْقَهُ بِالـمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ، وَهَدَى بِهِ قُلُوباً غُلْفاً وَآذَاناً صُمّاً وَأَعْيُناً عُمْياً، وَأَبْطَلَ بِهِ أَدْيَانَ الكُفَّارِ، (**وَالإِيمَانُ بِهِ إِيمَانٌ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ مَا جَاؤُوا بِهِ.**)

(**وَأَمَّا إِرْسَالُ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**) إِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ (**فَلِأَجْلِ وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**)، وَالخَلْقُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ خَلَقَهُ بَارِئُهُ مَطْبُوعاً عَلَى الـمَعْرِفَةِ بِوَحْدَانِيَّةِ مُوجِدِهِ كَالـمَلَائِكَةِ، وَنَوْعٌ خَلَقَهُ غَيْرَ مَطْبُوعٍ عَلَى المَعْرِفَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَهُمْ الجِنُّ وَالإِنْسُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا مُؤَيَّدِينَ بِالـمُعْجِزَاتِ لِيُرْشِدُوهُمْ إِلَى وَحْدَانِيَّةِ رَبِّ الكَائِنَاتِ، فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ اهْتَدَى بِهَدْيِهِمْ وَاقْتَبَسَ مِنْ نُورِهِمْ وَتَحَلَّى بِأَنْوَارِ مَعْرِفَةِ وَحْدَانِيَّةِ مُوجِدِهِ، وَمَنْ لَـمْ تَسْبِقْ لَهُ السَّعَادَةُ ـ بَلْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ ـ لَـمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِهِمْ، بَلِ ازْدَادَ ضَلَالًا عَلَى ضَلَالٍ.

(**وَ**) لِأَجْلِ (**الشَّرَائِعِ**) الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ (**مِنَ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي**) وَذَلِكَ أَنَّ البَارِئَ أَحَبَّ بَعْضَ الأَشْيَاءِ فَأَمَرَ العِبَادَ بِهَا، وَأَبْغَضَ بَعْضَهَا فَنَهَى عَنْهَا، (**وَالحَلَالِ وَالحَرَامِ وَالـمُبَاحِ وَغَيْرِهَا**) مِمَّا يَحْتَاجُ العِبَادُ إِلَيْهِ، (**إِلَى العِبَادِ**) مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ المُكَلَّفِينَ، وَمَا كَانُوا يَهْتَدُونَ إِلَى ذَلِكَ بِعُقُولِـهِمْ.

(**فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمْ**) عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (**الصِّدْقُ**) فِي الأَقْوَالِ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ؛ إِذِ الكَذِبُ نَقْصٌ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ، وَأَيْضاً لَوْ جَازَ عَلَيْهِمُ الكَذِبُ لَـمَا صَحَّ الاعْتِمَادُ عَلَى كَلَامِهِمْ.

(وَالأَمَانَةُ) فَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ الخَيَانَةُ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ؛ إِذْ هِيَ نَقْصٌ وَهُمْ مُبَرَّؤُونَ عَنْهُ.

(وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِإِبْلَاغِهِ لِلْخَلْقِ) وَقَدْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ بِأُمُورٍ وَأَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِ بَعْضِهَا.

(وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ) لِجَلَالَةِ قَدْرِهِمْ **(عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ)** الـمَذْكُورَاتِ، **(وَهِيَ الكَذِبُ)** بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، **(وَالخِيَانَةُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِـمَّا نُهِيَ عَنْهُ بِنَهْيِ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ)**؛ إِذْ ذَلِكَ يُخِلُّ بِمَنْصِبِهِمْ العَالِي.

وَمَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ صُدُورِ بَعْضِ الأُمُورِ الـمَكْرُوهَةِ فِي بَادِيَ الرَّأْيِ فَذَلِكَ مِنْ بَابِ تَرْكِ الأَوْلَى فِي حَقِّهِمْ، وَالقَرِيبُ يُؤَاخَذُ بِمَا لَا يُؤَاخَذُ بِهِ البَعِيدُ، ثُمَّ صَارَتْ تِلْكَ الأَشْيَاءُ سَبَباً لِازْدِيَادِ قُرْبِهِمْ حَيْثُ تَنَبَّهُوا لَـهَا وَرَجَعُوا عَنْهَا إِلَى مَوْلَاهُمْ.

(أَوْ كِتْمَانُ شَيْءٍ مِـمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ) فَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ الكِتْمَانُ؛ إِذْ هُوَ مِنَ النُّقْصَانِ، وَقَدْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ إِلَى العِبَادِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْهِمْ.

(وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ مَا هُوَ مِنَ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ) الَّتِي تَعْرُو[1] البَشَرَ مِنْ حَيْثُ بَشَرِيَّتُهُ، **(الَّتِي لَا تُؤَدِّي إِلَى نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ العَلِيَّةِ كَالمَرَضِ وَنَحْوِهِ)** مِنَ العَوَارِضِ البَشَرِيَّةِ، بَلْ عُرُوضُهَا لَـهُمْ يَكُونُ سَبَباً لِرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

---

(١) عَرَاهُ عَرْواً وَاعْتَرَاهُ: غَشِيَهُ وأَلَـمَّ به.

(**وَيَجْمَعُ مَعَانِي**) مَقَاصِدَ (**هَذِهِ العَقَائِدِ كُلِّهَا**) بِالإِجْمَالِ (**قَوْلُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»**) وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَأَسَاسُ الإِيمَانِ، وَأَفْضَلُ الأَذْكَارِ؛ (**إِذْ مَعْنَى الأُلُوهِيَّةِ**) الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ «اللهُ»: (**اسْتِغْنَاءُ الإِلَهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ**) لِأَنَّ الإِلَهَ لَا يَكُونُ إِلَهاً حَقِيقِيّاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَغْنِياً عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ؛ إِذْ عَدَمُ الاسْتِغْنَاءِ دَلِيلُ الافْتِقَارِ إِلَى الغَيْرِ، وَالـمُفْتَقِرُ لَا يَكُونُ إِلَهاً حَقّاً، وَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهاً وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى غَيْرِهِ؟! (**وَافْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ**).

(**فَمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مُسْتَغْنِياً عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَمُفْتَقِراً إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ**) أَيْ لَيْسَ شَيْءٌ يَسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاه وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ (**إِلَّا اللهُ**) فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي اسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وَافْتَقَرَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

(**فَقَدْ بَانَ**) ظَهَرَ (**لَكَ**) ظُهُوراً لَا خَفَاءَ فِيهِ (**تَضَمُّنُ قَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» لِلْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَجِبُ عَلَى الـمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا فِي حَقِّ مَوْلَانَا جَلَّ وَعَزَّ وَهِيَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ**) تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ (**وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ كَمَا تَقَدَّمَ**) إِذْ لَا يَكُونُ مُسْتَغْنِياً عَنْ كُلِّ مَا سَوَاهُ وَمُفْتَقِراً إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَوْصُوفاً بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ مُنَزَّهاً عَنْ أَضْدَادِهَا الَّتِي هِيَ أَعْلَامُ النُّقْصَانِ.

(**وَأَمَّا قَوْلُنَا: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» فَيَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ بِسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ آدَمَ**) الَّذِي اصْطَفَاهُ مَوْلَاهُ وَحَبَاهُ مِنَ الكَمَالَاتِ مَا بِهِ أَعْلَاهُ (**إِلَى الخَاتَمِ**) الَّذِي

خُتِمَ بِهِ النَّبِيُّونَ وَأُعْطَى مَا لَـمْ يُعْطَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ.

(وَ) يَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ **(بِالمَلَائِكَةِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وَهُمْ عِبَادٌ)** مَخْلُوقُونَ، وَلَيْسُوا بِبَنَاتِ اللهِ تَعَالَى كَمَا زَعَمَ بَعْضُ الكَفَرَةِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ! **(مُكْرَمُونَ)** أَكْرَمَهُمْ بَارِئُهُمْ بِأَنْ خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ وَجَعَلَهُمْ مُشْتَغِلُونَ بِمَا يُحِبُّ مِنْهُمْ، وَخَوَاصَّ حَضْرَتِهِ، وَسُفَرَاءَ إِلَى رُسُلِهِ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَفَضْلٌ مَقْسُومٌ، **(لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ)** لِأَنَّهُ جَبَلَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَصَمَهُمْ عَنِ الـمَعْصِيَةِ، **(وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** بِفِعْلِهِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ عَنْهُمْ.

(وَ) يَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ **(بِالكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ)** الَّتِي نَزَّلَـهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الرُّسُلِ، وَهِيَ مِنْ كَلَامِهِ القَدِيمِ، شَرَّفَ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَكُلُّ مَا فِيهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ.

(وَ) يَدْخُلُ فِيهَا الإِيمَانُ **(بِاليَوْمِ الآخِرِ)** بِمَا فِيهِ مِنَ البَعْثِ وَالحِسَابِ وَالـمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَالنَّارِ وَالجَنَّةِ، وَبِمَا هُوَ مِنْ مُقَدِّمَاتِهِ كَالـمَوْتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالقَبْرِ مِنَ السُّؤَالِ وَالعَذَابِ وَالنَّعِيمِ.

(وَ) يَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ **(بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)** وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا قَبْلَ وُجُودِهَا، وَقَدَّرَ لَـهَا مَقَادِيرَ مَعْلُومَةً مَحْدُودَةً، فَلَا تُوجَدُ إِلَّا عَلَى طِبْقِهَا، وَتَعَلُّقُ العِلْمِ بِالشَّرِّ وَتَقْدِيرُهُ وَإِرَادَتُهُ وَخَلْقُهُ لَا تَقْتَضِي الرِّضَا بِهِ وَلَا الظُّلْمَ بِالـمُؤَاخَذَةِ بِهِ؛ إِذْ هُوَ تَعَالَى إِلَهٌ ﴿**لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَالـمُلْكُ مُلْكُهُ يَتَصَرَّفُ فِي مُلْكِهِ كَيْفَ يَشَاءُ.

(لِأَنَّهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ جَاءَ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ كُلِّهِ) فَمَنْ قَالَ:

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ» مُعْتَقِداً حَقِّيَّتَهُ فَقَدْ أَقَرَّ وَاعْتَقَدَ بِحَقِّيَّةِ مَا هُوَ حَقٌّ عِنْدَ اللهِ ـ تَعَالَى ـ وَبِبُطْلَانِ مَا هُوَ بَاطِلٌ عِنْدَهُ، فَالإِيمَانُ بِرِسَالَتِهِ إِيمَانٌ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ.

(فَقَدِ اتَّضَحَ) يَا أَيُّهَا الأَخُ اتِّضَاحاً لَا شُبْهَةَ فِيهِ **(تَضَمُّنُ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ)** لِلَّهِ تَعَالَى بِالأُلُوهِيَّةِ الـمُسْتَجْمِعَةِ لِجَمِيعِ الكَمَالَاتِ، مَعَ التَّقَدُّسِ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَلِـمُحَمَّدٍ ﷺ بِالرِّسَالَةِ الـمُسْتَلْزِمِ تَصْدِيقُهَا تَصْدِيقَ جَمِيعَ مَا يَجِبُ تَصْدِيقُهُ، **(مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا)** وَسُهُولَةِ تَلَفُّظِهَا وَحَلَاوَةِ مَضْمُونِهَا **(مَا يَجِبُ عَلَى الـمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ مِنَ العَقَائِدِ الإِيمَانِيَّةِ)** الـمُتَعَلِّقَةِ بِالـمَوْصُوفِ بِالرَّحْمَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا **(فِي حَقِّهِ تَعَالَى)** مِنْ إِثْبَاتِ مَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لَهُ مِنْ أَوْصَافِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ وَنَفْيِ مَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ الاخْتِلَالِ، **(وَ)** مَا يَجِبُ فِي **(حَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)** مِنْ إِثْبَاتِ مَا يَجِبُ لَـهُمْ مِنْ أَوْصَافِ الكَمَالِ وَنَفْيِ مَا لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِمْ العَالِي وَاعْتِقَادِ حَقِّيَّةِ مَا نَطَقُوا بِهِ مِنَ الأَقْوَالِ.

(وَلَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِهَا) فِي مَبْنَاهَا **(مَعَ اشْتِمَالِـهَا عَلَى ذَلِكَ)** العِلْمِ الكَثِيرِ فِي مَعْنَاهَا **(جَعَلَهَا الشَّرْعُ)** ـ وَنِسْبَةُ الجَعْلِ مَجَازٌ ـ **(تَرْجَمَةً)** دَالَّةً **(عَلَى مَا)** هُوَ كَائِنٌ **(فِي القَلْبِ)** الَّذِي هُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَمَوْضُوعُ الإِيقَانِ وَمَنْبَعُ العِرْفَانِ وَقُطْبُ الأَرْكَانِ، عَلَيْهِ مَدَارُهَا صَلَاحاً وَفَسَاداً، أَوْ مَوْضِعُ نَظَرِ الرَّحْمَنِ، **(مِنَ الإِسْلَامِ)** أَيْ التَّصْدِيقِ وَالإِذْعَانِ وَالانْقِيَادِ، **(وَلَـمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ الإِيمَانَ إِلَّا بِهَا)**.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّلَفُّظَ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ـ مَعَ القُدْرَةِ ـ شَرْطٌ فِي

صِحَّةِ الإِيمَانِ، وَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ لَابُدَّ مِنَ التَّلَفُّظِ بِهَا أَوْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهَا مِنَ الاعْتِرَافِ بِالأُلُوهِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِلرِّسَالَةِ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ القُدْرَةِ.

(فَعَلَى العَاقِلِ) الَّذِي خَصَّهُ مَوْلَاهُ بِعَقْلٍ يُمَيِّزُ بِهِ أَنْفَسَ الأَشْيَاءِ فَيَخْتَارُهَا وَيُلَازِمُهَا عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهَا، وَأَخَسَّهَا فَيُجَانِبُهَا وَلَا يُحَوِّمُ حَوْلَهَا **(أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا)** لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الأُمُورِ وَأَعْلَاهَا، **(مُسْتَحْضِراً)** بِقَلْبِهِ **(لِمَا احْتَوَتْ)** لِلَّذِي اشْتَمَلَتْ **(عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ الإِيمَانِ)** وَحَقَائِقِ الإِيقَانِ **(حَتَّى تَمْتَزِجَ)** تَخْتَلِطَ مَعَ **(مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ)** فَيَصِيرَانِ مُتَكَلِّمَيْنِ بِمَبْنَاهَا مُتَحَقِّقَيْنِ بِمَعْنَاهَا.

وَلَا يَعْرِفُ هَذَا إِلَّا مَنْ ذَاقَ حَلَاوَتَهَا وَعَرَفَ جَلَالَتَهَا، **(فَإِنَّهُ يَرَى لَهَا)** لِأَجْلِ تَكْرَارِهِ إِيَّاهَا وَاسْتِحْضَارِهَا **(مِنَ الأُمُورِ)** الَّتِي هِيَ يَنَابِيعُ الأَنْوَارِ **(وَالعَجَائِبِ)** الَّتِي هِيَ مِنْ أَجَلِّ المَوَاهِبِ **(إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)** ـ إِذِ الأُمُورُ كُلُّهَا تَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ ـ **(مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ، مِنْهَا)** أَنْ يَتَشَرَّفَ العَبْدُ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ، وَمُشَاهَدَةِ المَنَّانِ وَصَيْرُورَتِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً لِلْجَنَانِ، وَالفَوْزِ بِالرِّضْوَانِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النِّيرَانِ، وَالظَّفَرِ بِدُخُولِ الجِنَانِ، وَهَذَا هُوَ المَقْصُودُ الأَعْظَمُ عِنْدَ أُولِي الإِيقَانِ.

(وَهَذَا) الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ **(مَا حَكَمَ عَلَيْهِ العَقْلُ)** الَّذِي يَعْرِفُ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ فَيُثْبِتُ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَنْفِي عَنْهُ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، **(وَالنَّقْلُ)** المُتَوَاتِرُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ، فَالعَقْلُ وَالنَّقْلُ فِي ذَلِكَ مُتَّفِقَانِ لَا يَخْتَلِفَانِ **(فِي مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ)** وَمَعْرِفَةِ مَا هُوَ لَازِمُ تَوْحِيدِهِ مِنْ إِثْبَاتِ



أَوْصَافِ الجَمَالِ وَالتَّقَدُّسِ عَنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الانْفِعَالِ، **(وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ)** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعْرِفَةِ مَا هُوَ لَازِمُ رِسَالَتِهِ.

(وَشَاهِدُ ذَلِكَ) كُلِّه قَوْلُهُ تَعَالَى: (﴿**لَوْكَانَ**﴾) لَوْ فُرِضَ (﴿**فِيهِمَآ**﴾) أَيْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَوْجُودٌ (﴿**ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢])، وَالفَسَادُ مُنْتَفٍ بِالضَّرُورَةِ، فَكَذَا وُجُودُ إِلَهٍ سِوَاهُ تَعَالَى.

وَهَذَا دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ عَلَى إِثْبَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ فِي الأُلُوهِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَوْ فُرِضَ وُجُودُ إِلَـهَيْنِ مَثَلًا فَإِمَّا أَنْ يَتَّفِقَا أَوْ يَخْتَلِفَا:

ـ فَإِنِ اتَّفَقَا عَلَى إِيجَادِ شَيْءٍ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قُدْرَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا مُؤَثِّرَةً عَلَى الاسْتِقْلَالِ، وَهَذَا مُحَالٌ، أَوْ قُدْرَةُ أَحَدِهِمَا، فَهُوَ الإِلَهُ الحَقُّ وَمَنْ سِوَاهُ بَاطِلٌ.

ـ وَإِنِ اخْتَلَفَا فَإِمَّا أَنْ يُوجَدَ مُرَادُهُمَا وَهَذَا مُحَالٌ، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، فَذَاكَ الإِلَهُ، وَمَنْ عَدَاهُ بَاطِلٌ.

(وَ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ**﴾) بِذَاتِهِ لِذَاتِهِ وَبِمَا أَظْهَرَ مِنْ مُبْدَعَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالَاتِهِ وَبِمَا أَبْدَى عَلَى أَيْدِي الأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ (﴿**أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ**﴾) بِوَجْهٍ مَا (﴿**إِلَّا هُوَ**﴾)، فَهُوَ الـمُنْفَرِدُ بِالأُلُوهِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا، (﴿**وَ**﴾) شَهِدَتِ (﴿**ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ**﴾) بِقَوْلِهِمْ وَحَالِهِمْ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، (﴿**وَ**﴾) شَهِدَ (﴿**أُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ**﴾) بِهِ تَعَالَى بِفَرْدَانِيَّتِهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ (﴿**قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ**﴾) العَدْلِ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، يَضَعُ كُلًّا فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، (﴿**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ**﴾) الَّذِي قَهَرَ الأُمُورَ لِعِزِّهِ، وَالَّذِي لَا مَثِيلَ لَهُ لِعِزَّتِهِ، (﴿**ٱلْحَكِيمُ**﴾)



فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، (﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ﴾) الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَتَدَيَّنُوا بِهِ: (﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨ - ١٩]﴾) وَهُوَ الاعْتِقَادُ بِالجَنَانِ، وَالإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالعَمَلُ بِالأَرْكَانِ.

(وَقَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ) صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الرِّسَالَةَ جَهْلًا أَوْ عِنَاداً (﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾) عَرَبُكُمْ وَعَجَمُكُمْ، أُمِّيُّكُمْ وَكِتَابِيُّكُمْ، (﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) وَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى فَرْدَانِيَّتِهِ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ﴾) بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ إِحْيَاءَهُ (﴿وَيُمِيتُ﴾) مَا يُرِيدُ إِمَاتَتَهُ، وَقَدْ أَظْهَرَ صِدْقِي فِي رِسَالَتِي بِالـمُعْجِزَاتِ السَّمَاوِيَّةِ كَانْشِقَاقِ القَمَرِ، وَالأَرْضِيَّةِ كَنَبْعِ الـمَاءِ مِنَ الأَرْضِ.

فَإِذَا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ (﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾) بِأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَامِلُ الأَوْصَافِ (﴿وَرَسُولِهِ﴾) مُحَمَّدٍ (﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾) الَّذِي لَا يَعْلَمُ الخَطَّ وَلَا قِرَاءَةَ الـمَكْتُوبِ، مَعَ أَنَّهُ أَتَى بِالعُلُومِ الَّتِي يَعْجِزُ أَهْلُ الخَطِّ عَنْ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَهَذَا أَدَلُّ دَلِيلٍ عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِهِ.

(﴿ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾) كَمَا يَلِيقُ الإِيمَانُ بِهِ (﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾) فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا أَحَدٌ كَإِيمَانِهِ بِهَا، إِذْ إِيمَانُهُ عَلَى قَدْرِ عِرْفَانِهِ، وَهُوَ أَعْرَفُ العِبَادِ بِرَبِّهِ، (﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾) فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ العَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَالأَعْمَالِ الحَسَنَةِ، وَمَا يَنْهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ العَقَائِدِ الفَاسِدَةِ وَالأَعْمَالِ الكَاسِدَةِ، (﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]) إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ المُنْجِي مِنَ العَذَابِ وَالـمُوصِلِ إِلَى دَارِ الثَّوَابِ.

(فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ) كَمَا أُمِرَ، **(وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزَةَ)** الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِهِ، **(وَأَدَّى الأَمَانَةَ)** الَّتِي اتُّخِذَ أَمِيناً عَلَيْهَا مِنْ رِسَالَاتِ رَبِّهِ وَالقِيَامِ بِمَا يُحِبُّ كَمَا يَرْضَاهُ.

(فَوَجَبَ عَلَيْنَا) إِذْ ثَبَتَ عِنْدَنَا صِدْقُهُ **(الاشْتِغَالُ بِمَا أَمَرَنَا بِهِ)** مِنَ المَحْبُوبَاتِ، **(وَ)** وَجَبَ عَلَيْنَا **(الانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَانَا عَنْهُ)** مِنَ المَبْغُوضَاتِ، وَلَا يَقْدِرُ الإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا يَنْبَغِي إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَمَا أُخِذَ مِنْهُمَا أَخْذاً صَحِيحاً، مَعَ تَوْفِيقِ الرَّحْمَنِ لِذِي النُّقْصَانِ.

(فَأَمَرَنَا أَوَّلًا بِالإِيمَانِ) وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الإِنْسَانِ عِنْدَ أُولِي الإِتْقَانِ **(وَهُوَ تَصْدِيقُ وَحْدَانِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)** فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، **(وَ)** تَصْدِيقُ **(رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ** ﷺ**)** الَّذِي أَظْهَرَ رِسَالَتَهُ بِالبَرَاهِينِ الوَاضِحَةِ وَالحُجَجِ القَاطِعَةِ، بِالقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ الإِيمَانِ وَمَحَطُّ الإِيقَانِ، **(بِإِقْرَارِنَا التَّصْدِيقَ بِكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)** ﷺ عَلَى مَعْنَى مَا مَرَّ.

(فَقُلْنَا) بِأَلْسِنَتِنَا **(مَعَ اعْتِقَادِ مَا نَقُولُ)** بِقُلُوبِنَا: **(آمَنَّا بِاللهِ)** كَمَا يَلِيقُ الإِيمَانُ بِهِ، **(وَآمَنَّا بِمَا جَاءَ مِنَ اللهِ)** مِنْ كَلَامِهِ **(عَلَى مُرَادِ اللهِ)** مِنْ ذَلِكَ، **(وَكَفَرْنَا بِالطَّاغُوتِ)** بِالبَاطِلِ، أَوْ بِالشَّيْطَانِ، أَوْ بِكُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى، **(وَآمَنَّا بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ)** ﷺ **(وَعَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ**)** وَهُوَ أَعْلَمُ بِمُرَادِ مَا جَاءَ بِهِ، فَنُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لَهُ، وَنُنَزِّهُهُ عَمَّا نَزَّهَهُ عَنْهُ، وَنَعْتَقِدُ بِحَقِّيَّةِ كُلِّ مَا جَعَلَهُ حَقّاً، وَبِبُطْلَانِيَّةِ كُلِّ مَا جَعَلَهُ بَاطِلًا.

(وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ) كُلُّنَا **(أَنْ يَجْعَلَنَا فِي الحَيَاةِ)** فِي هَذِهِ الدَّارِ **(وَعِنْدَ**

المَمَاتِ) وَالارْتِحَالِ مِنْهَا **(نَاطِقِينَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ)** كَمَا يَنْبَغِي النُّطْقُ بِهَا **(عَالِمِينَ مَعْنَاهَا)** عَامِلِينَ عَلَى مُقْتَضَاهَا، فَائِزِينَ بِفَوَائِدِهَا وَعَوَائِدِهَا، **(وَأَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الخِتَامِ)** عَلَى الإِسْلَامِ **(وَلِقَاءَهُ فِي دَارِ السَّلَامِ)** مَعَ النَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ الآفَاتِ وَالآلَامِ، **(بِجَاهِهِ)** الأَعْلَى **(عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)** وَهَذِهِ هِيَ البُغْيَةُ الكُبْرَى عِنْدَ أُولِي الأَحْلَامِ، وَالمَطْلَبُ الأَشْرَفُ عِنْدَ أُولِي الأَفْهَامِ، وَمَا ذَلِكَ بِعَزِيزٍ عَلَى ذِي الجُودِ وَالإِنْعَامِ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الدَّوَامِ.

هَذَا آخِرُ مَا أَمْلَيْتُهُ مِنْ قَلْبِي عَلَى قَلَمِي مَعَ قُصُورِ عِلْمِي، فَمَا كَانَ مِنْ صَوَابٍ فَمِنَ اللهِ تَعَالَى وَلَهُ الحَمْدُ كَمَا يَجِبُ، وَمَا كَانَ مِنْ خَطَإٍ فَأَسْأَلُهُ لَهُ العَفْوَ وَالغُفْرَانَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، في ذي الحجة سنة ١١٥٨ هـ.

